مجموعة قصص الأنبياء

بإشراف
محمد أحمد برانق



٦

إسماعيل الذبيح عليه السلام

دار المعارف بمصر

مجموعة قصص الأنبياء

(٦)

بإشراف
محمد أحمد برانق

إسماعيل الذبيح

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

١

خَرَجَ إبراهيمُ — عَلَيْهِ السلامُ — مُهَاجِراً مِنْ بَلَدِهِ مَعَ أَتْبَاعِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَعْدَ أَنْ أَذَاقَهُ قَوْمُهُ مِنَ الاِضْطِهَادِ وَالْعَذَابِ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِ إِلَى رَبِّهِ مَا أَذَاقُوهُ .

وَكَانَ بِصُحْبَةِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَهْلِهِ زَوْجَتُهُ سَارَةُ ابْنَةُ عَمِّهِ ، وَابْنُ أَخِيهِ لُوطٌ ، وَكَانَا قَدْ آمَنَا بِهِ وَاتَّبَعَاهُ ، وَجَابَا مَعَهُ الْبِلَادَ فِرَاراً مِنْ ظُلْمِ قَوْمِهِمْ حَتَّى نَزَلُوا حَرَّانَ .

وَمَكَثَ إِبْرَاهِيمُ بِحَرَّانَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ ، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينِ اللهِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا عَدَاهُ ، مُتَحَمِّلًا فِي سَبِيلِ ذٰلِكَ أَلْوَاناً مُخْتَلِفَةً مِنَ الاِضْطِهَادِ ، وَصُنُوفاً مُتَنَوِّعَةً مِنَ الْأَذَى وَالْعَذَابِ ، حَتَّى رَأَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مِصْرَ .

وَكَانَ قَائِماً عَلَى مِصْرَ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْهِكْسُوسِ ، عُرِفَ عَنْهُ لَدَى رِجَالِهِ وَأَعْوَانِهِ أَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَضُمَّ إِلَى نِسَائِهِ كُلَّ امْرَأَةٍ يَسْمَعُ أَنَّ لَهَا جَمَالًا ، وَأَنَّ فِيهَا فِتْنَةً .

وَكَانَتْ سَارَةُ امْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَوْفَرِ النِّسَاءِ جَمَالًا ، وَأَبْرَعِهِنَّ

حُسْنًا ، وَأَكْثَرِهِنَّ مَلَاحَةً ؛ فَمَا كَادَ يَرَاهَا وَاحِدٌ مِنْ أَعْوَانِ فِرْعَوْنَ الْمُنْبَثِّينَ فِي أَرْجَاءِ الْبِلَادِ عِنْدَ دُخُولِهَا مِصْرَ بِرُفْقَةِ زَوْجِهَا — حَتَّى أَسْرَعَ إِلَى سَيِّدِهِ الْمَلِكِ يُنَبِّئُهُ الْخَبَرَ قَائِلًا لَهُ :

لَقَدْ وَفَدَتْ عَلَى مِصْرَ امْرَأَةٌ ، مَا رَأَتْ عَيْنٌ أَجْمَلَ مِنْهَا جَمَالًا ، وَلَا أَحْلَى مِنْهَا حَلَاوَة ، وَلَا أَكْثَرَ مَلَاحَةً .

فَقَالَ فِرْعَوْنُ :

ائْتِنِي بِمَنْ مَعَهَا ، لِنَعْرِفَ خَبَرَهَا .

فَذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ أَقَامَ ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَسَأَلَهُ :

مَنِ الْمَرْأَةُ الَّتِي مَعَكَ ؟

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَدْ خَشِيَ أَنْ يَقْتُلَهُ فِرْعَوْنُ عَنِ امْرَأَتِهِ :

هِيَ أُخْتِي .

فَقَالَ فِرْعَوْنُ :

إِذَنْ ، اذْهَبْ ، وَزَيِّنْهَا ، وَأَرْسِلْهَا إِلَيَّ لِأَرَاهَا .

وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ بِصُحْبَةِ الرَّجُلِ وَدَخَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ ، وَقَالَ لَهَا :

يَا سَارَةُ ؛ اصْحَبِي هٰذَا الرَّجُلَ إِلَى فِرْعَوْنِهِ .

قَالَتْ :

وَمَاذَا يَكُونُ أَمْرُهُ مَعِى ؟ !

قَالَ :

سَأَدْعُو رَبِّى أَنْ يَعْصِمَكِ مِنْهُ .

وَكَانَتْ سَارَةُ دَائِمَةَ الطَّاعَةِ لِإِبْرَاهِيمَ ، سَرِيعَةَ التَّلْبِيَةِ إِلَى مَا يَدْعُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمْ تَمْتَنِعْ أَنْ تُصَاحِبَ الرَّجُلَ إِلَى فِرْعَوْنَ .

وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ يُصَلِّى ، وَيَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يَحْفَظَ سَارَةَ ، وَيُعِيدَهَا إِلَيْهِ سَالِمَةً بَرِيئَةً مَصُونَةً .

وَلَمَّا دَخَلَتْ سَارَةُ عَلَى فِرْعَوْنَ أَجْلَسَهَا بِجَانِبِهِ ، وَمَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ يَكْشِفُ عَنْ جَمَالِهَا ، وَيَمْلَأُ عَيْنَيْهِ مِنْ بَارِعِ حُسْنِهَا ؛ وَلٰكِنَّ يَدَهُ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا ، فَقَدْ رُدَّتْ إِلَى صَدْرِهِ ، وَقَدْ أُخِذَ أَخْذاً شَدِيداً ، وَأَحَسَّ فِى نَفْسِهِ أَنَّ شَيْئاً يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَلْمِسَ هٰذِهِ الْمَرْأَةَ ، وَأَنَّ قُوَّةً خَفِيَّةً تَمْنَعُهُ عَنْهَا ، وَتَحْفَظُهَا مِنْهُ .

فَوَجَمَ فِرْعَوْنُ ، وَأَعْظَمَ أَمْرَ سَارَةَ ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنْهَا ، وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا ؛ فَأُخْرِجَتْ وَوُهِبَتْ لَهَا

هَدَايا ، مِنْ بَيْنِهَا جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ ، حَسَنَةُ الْهَيْئَةِ اسْمُها هَاجَر .

ذَهَبَتْ سَارَةُ إلَى زَوْجِهَا ، فَوَجَدَتْهُ قَائِماً يُصَلِّي ؛ فَلَمَّا أَحَسَّ بِهَا انْفَتَلَ مِنْ صَلاتِهِ مُسْرِعاً ، وَقَالَ لَهَا :

مَا فَعَلَ اللهُ بِكِ يَابْنَةَ الْعَمِّ ؟ !

قَالَتْ :

رُدَّ كَيْدُ الْكافِرِ .

وَلَمْ يَطِبْ لِإبْرَاهِيمَ أَنْ يُقِيمَ بِمِصْرَ طَوِيلًا ، وَعَادَ إلَى بَرِّيَّةِ الشَّامِ ، هُوَ وَزَوْجَتُهُ سَارَةُ ، وَابْنُ أَخِيهِ لُوط ، وَمَنْ مَعَهُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَزَلَ السَّبْعَ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ ؛ وَهُنَاكَ احْتَفَرَ بِئْراً ، وَاتَّخَذَ سَكَناً وَزَرَعَ زَرْعاً ؛ بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهِ ، فَكَثُرَ وَنَمَا ، وَصَارَ مَقْصِداً لِلنَّاسِ ، يَأْتُونَهُ ، وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ فَلاَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَخْذ شَيْءٍ إلَّا أَنْ يَقُولَ لَهُمْ :

مَنْ قَالَ لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ فَلْيَدْخُلْ ، وَلْيَأْخُذْ .

فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ وَيَقُولُها وَيَأْخُذُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصُدُّ وَيَأْبَى فَيَرْجِعُ مِنْ حَيْثُ أَتَى مَحْرُوماً .

وَبَسَطَ اللهُ لِإبْرَاهِيمَ فِي الرِّزْقِ : فَكَثُرَ مالُهُ ، وَصَحَّ

زَرْعُهُ ، وَاقْتَنَى الشِّيَاهَ وَالْمَعْزَ ؛ فِي حِينَ جَفَّ زَرْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَقُتِّرَ عَلَيْهِمْ فِي رِزْقِهِمْ ، فَنَقَمُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَاضْطَهَدُوهُ وَتَحَرَّشُوا بِهِ : يُؤْذُونَهُ ، وَيَنَالُونَ مِنْهُ ، وَيَبْسُطُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فِيهِ وَفِي الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ .

فَعَزَمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنْ جَدِيدٍ ؛ فَقَاسَمَ ابْنَ أَخِيهِ لُوطاً أَمْوَالَهُ وَمَاشِيَتَهُ ، وَتَرَكَ الْبَلْدَةَ وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ فِي أَطْرَافِ فِلَسْطِينَ .

أَمَّا لُوطٌ فَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى سَدُومَ بِالْأَرْدُنِّ ، حَيْثُ بَعَثَهُ اللهُ نَبِيًّا لِأَهْلِهَا ، فَنَزَلَ بِهَا يَهْدِي قَوْمَهَا ، وَيُرْشِدُهُمْ مِنْ ضَلَالِهِمْ ، وَيُخْرِجُهُمْ عَنْ خَطِيئَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا سَادِرِينَ فِيهَا .

أَمَّا أَهْلُ السَّبعِ بَعْدَ أَنْ غَادَرَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، فَإِنَّ الْبِئْرَ الَّتِي احْتَفَرَهَا ، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ مَعَهُ مِنْهَا — قَدْ جَفَّ مَاؤُهَا وَنَضَبَ فَدَهِشُوا ، وَتَحَيَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ ، وَنَدِمُوا عَلَى إِيذَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ إِيذَاءً جَعَلَهُ يُهَاجِرُ مِنْ بَلَدِهِمْ ، وَقَالَ نَفَرٌ مِنْهُمْ :

لَقَدْ آذَيْنَا رَجُلًا صَالِحًا ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُؤْذِيَهُ ، وَبَالَغْنَا فِي إِيذَائِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِنَا ، وَلَنْ يُصِيبَنَا خَيْرٌ إِلَّا إِذَا ذَهَبْنَا

إِلَيْهِ ، وَاسْتَرْضَيْنَاهُ ، وَأَعَدْنَاهُ إِلَى بَلَدِنَا .

وَسَارَ وَفْدٌ مِنْهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ .

فَقَالَ لَهُمْ :

إِنَّنِي لَا أَعُودُ إِلَى بَلَدٍ أُوذِيتُ بِهِ وَأُخْرِجْتُ مِنْهُ .

فَقَالُوا :

لَقَدْ جَفَّتِ الْبِئْرُ الَّتِي احْتَفَرْتَهَا ، وَغَاضَ مَاؤُهَا ، وَكُنَّا نَشْرَبُ مِنْهَا .

فَأَعْطَاهُمْ إِبْرَاهِيمُ سَبْعَ أَعْنُزٍ مِنْ غَنَمِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

اِذْهَبُوا بِهَا مَعَكُمْ وَأَوْرِدُوهَا الْبِئْرَ ، يَظْهَرِ الْمَاءُ بِإِذْنِ اللهِ .

فَذَهَبُوا بِالْأَعْنُزِ إِلَى الْبِئْرِ ، وَأَوْرَدُوهَا مَاءَهَا ، فَنَبَعَ الْمَاءُ وَفَاضَ ، كَمَا قَالَ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَاسْتَقَى الْقَوْمُ ، وَسَقَوْا دَوَابَّهُمْ وَمَاشِيَتَهُمْ .

٢

وَمَرَّتِ الأَعْوَامُ وَالسِّنُونَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَزَوْجَتِهِ حَتَّى نَالَتْ مِنْهُمَا الشَّيْخُوخَةُ ، وَبَلَغَا مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْجِبَا وَلَدًا ؛ وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَى وَلَدٍ مُؤْمِنٍ صَالِحٍ ، تَنْشَرِحُ لَهُ نَفْسُهُ ، وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ ؛ وَكَانَ يَدْعُو رَبَّهُ كُلَّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِيُحَقِّقَ لَهُ هٰذَا الأَمَلَ .

وَعَرَفَتْ فِيهِ سَارَةُ هٰذِهِ الرَّغْبَةَ ، فَعَزَمَتْ أَنْ تَعْمَلَ عَلَى تَحْقِيقِهَا لَهُ ، بِأَنْ تَهَبَ لَهُ جَارِيَتَهَا هَاجَرَ ، لَعَلَّهَا تُنْجِبُ لَهُ وَلَدًا . فَقَالَتْ لَهُ :

يَا إِبْرَاهِيمُ ؛ إِنِّي عَاقِرٌ ، وَأُحِبُّ أَنْ يُولَدَ لَكَ وَلَدٌ ، وَلِذٰلِكَ سَأَهَبُ لَكَ هَاجَرَ ، فَقَدْ يَرْزُقُنَا اللّٰهُ مِنْهَا وَلَدًا . فَقَالَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ :

يَا سَارَةُ ؛ أَخَافُ عَلَيْكِ ضَرَاوَةَ الْغَيْرَةِ ، فَإِنَّهَا إِنْ تَمَكَّنَتْ مِنْكِ أَرَّقَتْكِ ، وَأَذْهَبَتْ عَنْكِ صَوَابَكِ ، وَنَغَّصَتْ عَلَيْكِ حَيَاتَكِ . قَالَتْ : لَا عَلَيْكَ يَابْنَ عَمِّي ، لَا تَخَفْ .

وَوَهَبَتْ سَارَةُ لِزَوْجِهَا جَارِيَتَهَا هَاجَرَ ، وَحَمَلَتْ هَاجَرُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ وَلَدَتْ لَهُ غُلَاماً وَضِيئاً سَمَّاهُ إِسْمَاعِيلَ .

وَفَرِحَ إِبْرَاهِيمُ بِمَوْلِدِ وَلَدِهِ فَرَحاً عَظِيماً، وَأَحَبَّهُ حُبًّا كَثِيرًا؛ فَكَانَ يَحْمِلُهُ وَيُدَلِّلُهُ ، وَيُهَدْهِدُهُ ، وَيَنْتَظِرُ الْيَوْمَ الَّذِي يَكْبَرُ فِيهِ وَيَشِبُّ لِيُعَلِّمَهُ الْإِيمَانَ بِاللهِ ، وَيَغْرِسَ فِي قَلْبِهِ طَاعَتَهُ وَحُبَّهُ .

وَدَبَّتْ الْغَيْرَةُ فِي نَفْسِ سَارَةَ مِنْ هَاجَرَ وَابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ حِينَ رَأَتْ شِدَّةَ كَلَفِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ ؛ وَلٰكِنَّهَا جَاهَدَتْ نَفْسَهَا وَحَاوَلَتْ أَنْ تَكْظِمَ غَيْظَهَا ، حَتَّى لَا تُؤْلِمَ إِبْرَاهِيمَ ، وَتُسِيءَ إِلَيْهِ ، وَتُعَكِّرَ عَلَيْهِ صَفْوَهُ .

إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَكْتُمَ مَا بِهَا طَوِيلًا . فَقَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ يَوْماً :

يَا إِبْرَاهِيمُ ؛ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَاكِنَ هَاجَرَ وَابْنَهَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَلَهَا أَمْرًا .

وَقَعَ مَا كَانَ يَخْشَاهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَأَصَرَّتْ سَارَةُ عَلَى أَنْ تُبَاعِدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ ، فَاضْطُرَّ إِلَى إِخْرَاجِهِ هُوَ وَأُمِّهِ هَاجَرَ ، وَإِسْكَانِهِمَا سَكَناً خَاصًّا بَعِيداً عَنْ سَكَنِ سَارَةَ ، وَصَارَ

يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمَا حِينًا بَعْدَ حِينٍ .

وَلَكِنَّ سَارَةَ لَمْ تَسْتَطِعِ الصَّبْرَ أَيْضًا عَلَى ذَهَابِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى هَاجَرَ وَوَلَدِهَا لِرُؤْيَتِهِمَا . فَقَالَتْ لَهُ :

إِنَّنِي لَا أُرِيدُ أَنْ تَسْكُنَ هَاجَرُ بَلَدًا أَسْكُنُهُ .

وَحَاوَلَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَتَرَضَّى سَارَةَ عَلَى هَاجَرَ وَوَلَدِهَا إِسْمَاعِيلَ ، وَلَكِنَّهَا أَبَتْ وَأَصَرَّتْ . فَوَجَدَ أَنْ لَا مَنَاصَ مِنْ أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَهُمَا .

فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ هَاجَرَ وَوَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ . وَخَرَجَ بِهِمَا مِنَ الْبَلَدِ يَبْغِي مَكَانًا آخَرَ يُؤْوِيهِمَا فِيهِ .

وَسَارَ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسِيرَ ، مُخَلِّفًا مِنْ وَرَائِهِ فِلَسْطِينَ ، مُيَمِّمًا شَطْرَ الْجَنُوبِ ، ضَارِبًا فِي صَحْرَاءِ الْحِجَازِ ، مُتَّبِعًا فِي ذَلِكَ وَحْيًا خَفِيًّا يَدْفَعُهُ ، فَلَا يَسْتَقِرُّ فِي مَكَانٍ إِلَّا لِنَوْمٍ أَوْ رَاحَةٍ أَوْ طَعَامٍ ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ بِهَاجَرَ وَوَلَدِهِ السَّيْرَ مِنْ جَدِيدٍ ، حَتَّى نَزَلُوا بِوَادِي مَكَّةَ ، وَكَانَ مَحَطَّةً لِتَبَادُلِ السِّلَعِ بَيْنَ الْقَوَافِلِ الْوَافِدَةِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْيَمَنِ ، وَمِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ .

فَأَقَامَ إِبْرَاهِيمُ لِهَاجَرَ وَابْنِهَا فِيهِ خَيْمَةً ، يَأْوِيَانِ إِلَيْهَا ،

وَيَضَعَانِ فِيهَا مَا مَعَهُمَا مِنْ زَادٍ وَمَتَاعٍ .

وَنَظَرَتْ هَاجَرُ إِلَى مَا حَوْلَهَا ، فَوَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي مَكَانٍ مُجْدِبٍ مُقْفِرٍ ، لَيْسَ بِهِ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ ، وَلَا نَاسٌ وَلَا مَاءٌ ، فَدَهِشَتْ وَتَحَيَّرَتْ فِيمَا دَعَا إِبْرَاهِيمَ لِاخْتِيَارِ هٰذَا الْمَكَانِ لِإِقَامَتِهَا هِيَ وَابْنِهَا ، وَخَطَرَ لَهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مُسَيَّرٌ غَيْرُ مُخَيَّرٍ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَهُ بِذٰلِكَ .

فَسَأَلَتْهُ قَائِلَةً :

أَأَمَرَكَ رَبُّكَ أَنْ تَتْرُكَنَا هُنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟!

أَجَابَ :

نَعَمْ ؛ وَهُنَا سَيَأْمُرُنِي رَبِّي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتَهُ الْمُحَرَّمَ .

قَالَتْ :

إِذَنْ ، تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، فَقَدْ وَكَلْتَنَا إِلَى مَنْ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ الرَّجَاءُ .

وَتَبَادَلُوا جَمِيعًا دُمُوعَ الْوَدَاعِ . ثُمَّ تَرَكَهُمَا إِبْرَاهِيمُ وَانْصَرَفَ . فَلَمَّا صَارَ عَلَى مَرْمَى النَّظَرِ مِنْهُمَا ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى رَبِّهِ ، وَابْتَهَلَ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا
يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي
وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة إبراهيم – الآيتان ٣٨ ، ٣٩]

رَبَّنَا ؛ إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمَا آخِرَ نَظْرَةٍ ، وَانْفَتَلَ فِى الصَّحْرَاءِ عَائِدًا إِلَى بِلَادِ الشَّامِ .

أَلَا مَا أَعْظَمَ مَا بَلَاكَ اللهُ بِهِ يَا إِبْرَاهِيمُ ! وَمَا أَعْظَمَ مَاقُمْتَ بِهِ مِنْ رِضَاءٍ وَتَسْلِيمٍ ! !

وَبَقِيَتْ هَاجَرُ وَابْنُهَا إِسْمَاعِيلُ فِى خَيْمَتِهِمَا وَحِيدَيْنِ . لَا يُؤْنِسُ هَاجَرَ فِى وَحْدَتِهَا غَيْرُ إِيمَانِهَا بِاللهِ . حَتَّى فَرَغَ مَا لَدَيْهَا مِنْ مَاءٍ دُونَ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا أَحَدٌ ، أَوْ تَأْتِىَ إِلَى وَادِيهَا قَافِلَةٌ . فَتَحَيَّرَتْ فِى أَمْرِهَا وَأَمْرِ وَلَدِهَا الَّذِى كَادَ الْعَطَشُ أَنْ يَأْتِىَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَتْ تَسْعَى ، وَتَبْحَثُ عَنْ مَاءٍ .

فَسَارَتْ حَتَّى صَعِدَتْ جَبَلَ الصَّفَا ، وَوَقَفَتْ تَتَرَقَّبُ ، لَعَلَّهَا تَرَى أَحَداً ، أَوْ تَنْظُرُ مَاءً ، وَلٰكِنَّهَا لَمْ تَرَ شَيْئاً ؛ فَرَجَعَتْ وَسَارَتْ حَتَّى صَعِدَتْ جَبَلَ الْمَرْوَةِ ، تَسْتَشْرِفُ ، فَلَمْ تَرَ شَيْئاً ؛ وَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا تَسْمَعُ صَوْتاً مِنْ وَرَائِهَا ، فَقَالَتْ لِنَفْسِهَا :

صَه !

وَأَنْصَتَتْ، ثُمَّ كَرَّتْ رَاجِعَةً إِلَى الصَّفَا تَبْحَثُ عَنْ مَصْدَرِهِ، فَلَمْ تَجِدْ أَحَداً.

وَخُيِّلَ إِلَيْهَا أَنَّهَا تَسْمَعُهُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى فَعَادَتْ؛ وَهٰكَذَا أَخَذَتْ فِي هَرْوَلَتِهَا هٰذِهِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، دُونَ أَنْ تَرَى أَحَداً، أَوْ تَعْثُرَ عَلَى عَيْنِ مَاءٍ.

فَرَجَعَتْ إِلَى وَلَدِهَا يَائِسَةً حَزِينَةً، وَهِيَ تَحْسَبُهُ قَدْ فَارَقَ الْحَيَاةَ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ؛ فَوَجَدَتْهُ يَفْحَصُ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ، وَقَدْ نَبَعَ مِنْ بَيْنِهِمَا الْمَاءُ.

فَأَكَبَّتْ هَاجَرُ عَلَى وَجْهِهَا: تَغْتَرِفُ بِيَدَيْهَا وَتَسْقِي مِنْهُ ابْنَهَا، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى الْوَلَدُ، أَخَذَتْ تَرْشُفُ الْمَاءَ بِفَمِهَا، حَتَّى ارْتَوَتْ هِيَ أَيْضًا، ثُمَّ أَخَذَتْ تَحْبِسُهُ بِيَدَيْهَا، وَتَزُمُّهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا حَتَّى لَا يَنْسَاحَ فِي الْأَرْضِ؛ لِتَخْتَزِنَهُ بِقُرْبِهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ يَتَسَرَّبَ فِي الرِّمَالِ مِنْ غَيْرِ جَدْوَى، وَحَتَّى إِذَا عَاوَدَهَا الْعَطَشُ، أَوْ عَاوَدَ ابْنَهَا — وَجَدَتِ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُ مِنْهُ.

وَبَيْنَمَا هِيَ تَفْعَلُ ذٰلِكَ سَمِعَتْ صَوْتًا كَالَّذِي سَمِعَتْهُ مِنْ قَبْلُ يَهْتِفُ بِهَا أَنْ :

لَا تَخَافِي الظَّمَأَ فَإِنَّهَا عَيْنٌ عَذْبَةٌ لِشُرْبِ ضُيُوفِ اللّٰهِ ، وَلَا تَخَافِي الضَّيْعَةَ فَهُنَا سَيَبْنِي خَلِيلُ اللّٰهِ بَيْتَ اللّٰهِ .

وَكَانَ الْهَاتِفُ جِبْرَائِيلَ الْمَلَكَ الْكَرِيمَ .

وَحَمِدَتْ هَاجَرُ رَبَّهَا ، وَشَكَرَتْهُ عَلَى نِعْمَتِهِ عَلَيْهَا ، وَعَلَى وَلَدِهَا ، وَقَامَتْ هِيَ وَابْنُهَا إِلَى الْمَاءِ يَشْرَبَانِ وَيَغْتَسِلَانِ .

٣

وَمَكَثَ إِسْمَاعِيلُ وَأُمُّهُ زَمَناً تَرِدُ عَلَيْهِمَا قَوَافِلُ الْعَرَبِ فِي سَيْرِهَا ذَهَاباً وَإِيَاباً ، وَكُلَّمَا مَرَّتْ قَافِلَةٌ كَانَا يَأْخُذَانِ مِنْهَا حَاجَتَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ بِالْقَدْرِ الَّذِي يَكْفِيهِمَا حَتَّى تَمُرَّ قَافِلَةٌ أُخْرَى .

وَكَانَتْ عَيْنُ زَمْزَمَ الَّتِي تَفَجَّر مَاؤُهَا خَيْرَ مُرَغِّبٍ لِلْمَارِّينَ فِي النُّزُولِ بِهِمَا ، وَالْإِقَامَةِ وَقْتاً بِجِوَارِهِمَا لِلرَّاحَةِ وَالاسْتِسْقَاءِ .

وَاسْتَهْوَتِ الْعَيْنُ إِحْدَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ الَّتِي تَنْزِلُ بِجِوَارِ وَادِي مَكَّةَ ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ تُعْرَفُ بِقَبِيلَةِ جُرْهُمٍ ، فَذَهَبُوا إِلَى هَاجَرَ ، وَاسْتَأْذَنُوهَا فِي مُجَاوَرَتِهَا ، فَأَذِنَتْ ، وَقَدْ سَرَّهَا أَنْ تَجِدَ بِجِوَارِهَا جِيرَاناً تَتَعَامَلُ مَعَهُمْ ، وَأُنَاساً تَأْتَنِسُ بِهِمْ ، وَتَطْمَئِنُّ إِلَى جِوَارِهِمْ .

وَنَزَحَتِ الْقَبِيلَةُ إِلَى مَكَّةَ ، فَنَزَلَتْ بِهَا وَكَانَتْ أُولَى الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمَرَتْ مَكَّةَ ، ثُمَّ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا قَبَائِلُ أُخْرَى .

وَلَمْ يَمْضِ قَلِيلٌ حَتَّى كَانَ وَادِي مَكَّةَ الْمُجْدِبُ الْمُقْفِرُ

عَامِرًا بالنَّاسِ ، وَيعمُرُهُ النَّاسُ ، ويَزْخَرُ بالْحرَكَةِ : فِي أَرْضِهِ إِبِلٌ وَمَاشِيَةٌ ، وَفِي سَمَائِهِ طُيُورٌ مُحَوِّمَةٌ ، وَقَدْ حَقَّقَ اللهُ لِهَاجَرَ وَابْنِها دَعْوَةَ إِبْرَاهِيمَ لَهُمَا حِينَ سَأَلَ رَبَّهُ : فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ .

وَأَتَى خَلِيلُ اللهِ يَرَى مَا فعلَ اللهُ بِوَدِيعَتِهِ ، فَوَجَدَ نَاسًا ، وَوَجَدَ خِيَامًا ، وَوَجَدَ حَيَاةً وَحَرَكَةً ، فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ ضَلَّ عَنْ وادِي مَكَّةَ الَّذِي تَرَكَ فِيهِ هَاجَرَ وَإِسْمَاعِيلَ بِأَمْرِ رَبِّهِ ، فَقَدْ كَانَ وادِيًا غَيْرَ ذِي زَرْعٍ ، فَسَأَلَ :

أَهٰذَا وَادِي مَكَّةَ ؟! أَهُنَا هَاجَرُ وَإِسْمَاعِيلُ ؟! فَقِيلَ لَهُ :

نَعَمْ ؛ هٰذَا وَادِي مَكَّةَ ، وَفِيهِ هاجَرُ وَإِسْمَاعِيلُ .

وَأَرْشَدَهُ النَّاسُ إِلَى خَيْمَتَيْهِمَا .

فَذَهَبَ إِلَيْهِمَا ، وَفَرِحَ بِهِمَا وَفَرِحَا بِهِ ، وَشَكَرَ اللهَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ وَأَوْلَاهُمَا مِنْ نِعَمٍ ، وَعَلَى مَا حَبَاهُ وَحَبَاهُمَا مِنْ عَطْفٍ .

وَظَلَّ هٰذَا حَالَ إِبْرَاهِيمَ ، يَأْتِي بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ لِرُؤْيَةِ إِسْمَاعِيلَ وَأُمِّهِ ، حَتَّى أُمِرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ . فَقَدْ رَأَى إِبْرَاهِيمُ فِي نَوْمِهِ هَاتِفًا يَهْتِفُ :

يَا إبْرَاهِيمُ ؛ اذْبَح ابْنَكَ فِى سبيلِ اللّٰهِ .

فَهَبَّ إبْرَاهِيمُ مِنْ نَوْمِهِ مَذْعُورًا ، وَاسْتَعَاذَ باللّٰهِ مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ عَاوَدَ نَوْمَهُ ، فَعَاوَدَهُ الهَاتفُ بقَوْلِهِ :

يَا إبْرَاهِيمُ ؛ اذْبَح ابْنَكَ فِى سَبيل اللّٰه .

فَهَبَّ إبْرَاهِيمُ قَائِمًا ، وَقَدْ صَحَّ عِنْدَهُ أَنَّ الْهَاتِفَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ الْحَبِيبِ .

وَجَاءَ إبْرَاهِيمُ إلَى ابْنِهِ ، فَقَالَ لَهُ :

يَا بُنَيَّ ؛ خُذِ الْحَبْلَ وَالْمُدْيَةَ ، وانْطَلِقْ بنَا إلَى هٰذِهِ الْهَضْبَةِ لِنَحْتَطِبَ .

فَفَعَلَ الْغُلَامُ مَا أَمَرَهُ بِهِ أَبُوهُ ، وَتَبِعَهُ إلَى الْهَضْبَةِ الَّتِى أَشَارَ إلَيْهَا وَالِدُهُ ، فَلَمَّا صَارَا فِى خَلْوَةٍ ، قَالَ إبْرَاهِيمُ لِابْنِهِ :

يَا بُنَيَّ ؛ إنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟

قَالَ إسْمَاعِيلُ :

يَا أَبَتِ ؛ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِى إنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّابِرِينَ .

كَانَ إسْمَاعِيلُ مُؤْمِنًا بِرَبِّهِ ، مُطِيعًا لِأَبِيهِ ، فَلَمْ يَشُكَّ فِى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي
أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الصافات - الآيات من ٩٩ : ١٠٢]

أَنَّ مَا يقُولُهُ وَالِدُهُ هُوَ أَمْرُ اللهِ لَهُ فِيهِ .

فَلَمَّا تناوَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْهُ الْحَبْلَ لِيُوثِقَهُ وَالْمُدْيَةَ لِيَذْبَحَهُ ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ لَهُ :

يَا أَبَتَاهُ ، إِذَا أَرَدْتَ ذَبْحِي فَاشْدُدْ وَثَاقِي لِئَلَّا يُصِيبَكَ شَيْءٌ مِنْ دَمِي فَيَنْقُصَ أَجْرِي ؛ إِنَّ الْمَوْتَ لَشَدِيدٌ ، وَلَا آمَنُ أَنْ أَضْطَرِبَ عِنْدَ الذَّبْحِ إِذَا أَحْسَسْتُ مَسَّ السِّكِّينِ ، وَاشْحَذْ شَفْرَتَكَ حَتَّى تُجْهِزَ عَلَيَّ سَرِيعاً ، فَإِذَا أَنْتَ أَضْجَعْتَنِي لِتَذْبَحَنِي ؛ فَاكْبُبْنِي عَلَى وَجْهِي ، وَلَا تُضْجِعْنِي لِجَنْبِي ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ أَنْتَ نَظَرْتَ إِلَى وَجْهِي أَنْ تُدْرِكَكَ رِقَّةٌ ، فَتَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَنْفِيذِ أَمْرِ رَبِّكَ فِيَّ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَرُدَّ قَمِيصِي عَلَى أُمِّي فَافْعَلْ ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ هٰذَا أَسْلَى لَهَا .

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : نِعْمَ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بُنَيَّ عَلَى أَمْرِ اللهِ .

ثُمَّ شَحَذَ شَفْرَتَهُ ، وَأَحْكَمَ وَثَاقَ ابْنِهِ ، وَكَبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ ، جَاعِلًا جَبِينَهُ إِلَى الْأَرْضِ مُتَحَاشِياً النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، وَسَلَّمَ وَاسْتَشْهَدَ ثُمَّ هَمَّ بِذَبْحِهِ .

وَلَمْ يَكَدْ يَسْحَبُ السِّكِّينَ عَلَى قَفَا ابْنِهِ لِيَذْبَحَهُ ، حَتَّى سَمِعَ مُنَادِيًا يُنَادِي :

يَا إِبْرَاهِيمُ ؛ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، وافْتَدِ ابنَكَ بِكَبْشٍ عظِيمٍ .

ونَظَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى حَيْثُ سَمِعَ الْمُنَادِيَ ، فَوَجَدَ بِجَانِبِهِ كَبْشًا أَبْيَضَ أَعْيَنَ أَقْرَنَ ، فَعَرَفَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَهُ فِدَاءً لابْنِهِ .

فَأَخْلَى ابْنَهُ مِنْ وَثَاقِهِ ، وَهُوَ يُقَبِّلُهُ بَاكِيًا مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ وَيَقُولُ :

يَا بُنَيَّ ؛ لَقَدْ وُهِبْتَ لِيَ الْيَوْمَ مِنْ جَدِيدٍ .

ثُمَّ أَوْثَقَ الْكَبْشَ ، وَذَبَحَهُ ، شَاكِرًا رَبَّهُ .

أَلَا مَا أَعْظَمَ مَا بَلَاكُمَا اللهُ بِهِ يَا إِبْرَاهِيمُ وَيَا إِسْمَاعِيلُ ! وَمَا أَعْظَمَ مَا قَدَّمْتُمَا مِنْ رِضَاءٍ وَتَسْلِيمٍ .

٤

وَلَمْ تُعَمِّرْ هاجَرُ بَعْدَ ذٰلِكَ طَوِيلًا ، فَماتَتْ ، وَدُفِنَتْ بِالْحِجْرِ .

وَكانَ إِسْمَاعِيلُ قَدْ شَبَّ وَكَبِرَ ، وَاشْتَهَرَ بَيْنَ جِيرانِهِ بِالشَّجَاعَةِ وَالشَّهَامَةِ والْكَرَمِ ، وَعُرِفَ عَنْهُ قُوَّةُ الْإِيمَانِ ، وَصِدْقُ الْوَعْدِ ، وَتَحَمُّلُ الْمَكَارِه ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ .

وَكَانَ قَدْ تَعَلَّمَ لُغَةَ جِيرانِهِ : قَبِيلَةِ جُرْهُمٍ ، وَأَحْسَنَ التَّفَاهُمَ مَعَهُمْ بِهَا .

لِذٰلِكَ كَانَ أَهْلُ الْقَبِيلَةِ جَمِيعاً يُحِبُّونَهُ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ نَظْرَةَ إِعْجَابٍ وَإِكْبَارٍ وَتَقْدِيرٍ .

فَلَمَّا مَاتَتْ أُمُّهُ ، رَأَوْا أَنْ يُزَوِّجُوهُ فَتَاةً مِنْهُمْ : تَرْعَى شُئُونَهُ ، وَتَسْهَرُ عَلَى رَاحَتِهِ ؛ وَتَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِ .

فَتَخَيَّرُوا لَهُ فَتَاةً ، اسْمُهَا عِمَارَةُ ، وَزَوَّجُوهُ مِنْهَا .

وَأَتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَرَى وَلَدَهُ .

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ فِي رِحْلَةٍ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ مَعَ بَعْضِ فِتْيَانِ الْقَبِيلَةِ ، فَخَرَجَتْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ امْرَأَةُ إِسْمَاعِيلَ ؛ فَسَأَلَهَا إِبْرَاهِيمُ :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿... فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الصافات – الآيات من ١٠٢ : ١١١]

مَنْ تَكُونِينَ ؟
قَالَتْ : زَوْجَةُ إِسْمَاعِيلَ .
قالَ : أَيْنَ صَاحِبُكِ ؟
قَالتْ : خَرَجَ يَتَصَيَّدُ مَا نَعِيشُ مِنْهُ .
قَالَ : وَكَيْفَ حَالُكُمَا ، وَحَالُ مَعَاشِكُمَا ؟
قَالَتْ : إِنَّنَا فِي شَرِّ حَالٍ : عَوَزٌ وَبُؤْسٌ ، وَضِيقٌ وَشِدَّةٌ .
قَالَ : إِذَا جَاءَ زَوْجُكِ ، فَأَقْرِئِيهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ : غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ .
وَانْصَرَفَ إِبْرَاهِيمُ .
وَجَاءَ إِسْمَاعِيلُ مِنْ رِحْلَتِهِ . فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ :
هَلْ أَتَاكُمْ أَحَدٌ فِي غَيْبَتِي ؟
أَجَابَتْ :
نَعَمْ ؛ جَاءَنَا شَيْخٌ لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ ؛ سَأَلَنِي عَنْكَ ، وَسَأَلَنِي عَنْ مَعَاشِنَا ؛ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ تَسْعَى لِمَعَاشِنَا ، وَأَنَّنَا فِي عَوَزٍ وَبُؤْسٍ وَضِيقٍ وَشِدَّةٍ .
. . .
قَالَ : فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ .

قَالَتْ :

نَعَمْ ؛ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ السَّلَامَ ، وَأَنْ أَقُولَ لَكَ : غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ ، وَقَدْ عَرَفَ أَنَّ الزَّائِرَ أَبُوهُ :

ذَاكَ أَبِي ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ ، فَالْحَقِي بِأَهْلِكِ !

ثُمَّ طَلَّقَهَا ، وَتَزَوَّجَ مِنْ أُخْرَى كَمَا أَمَرَهُ أَبُوهُ .

وَكَانَتِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا فَتَاةً تُدْعَى السَّيِّدَةَ بِنْتَ مُضَاضِ بْنِ عُمَرَ الْجُرْهُمِيِّ .

وَبَعْدَ حِينٍ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ يَزُورُ ابْنَهُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَوَجَدَ زَوْجَةً أُخْرَى ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ ، وَعَنْ حَالِهِمَا وَمَعَاشِهِمَا .

فَقَالَتْ :

نَحْنُ بِخَيْرٍ ، وَفِي سَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ ، وَكَمَالٍ مِنَ الصِّحَّةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

قَالَ :

مَاطَعَامُكُمْ ، وَشَرَابُكُمْ ؟

قَالَتْ :

طَعَامُنَا اللَّحْمُ ، وَشَرَابُنَا الْمَاءُ .

قَالَ :

اللّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ .

ثُمَّ قَالَ لَهَا :

إِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَأَقْرِئِيهِ السَّلَامَ ، وَمُرِيهِ أَنْ يُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِهِ .

ثُمَّ تَرَكَهَا وَانْصَرَفَ .

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ ، قَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ :

لَقَدْ أَتَانِي فِي غَيْبَتِكَ شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ ، طَيِّبٌ ، هَوَاؤُهُ خَفِيفٌ ، فِيهِ جَلَالٌ وَوَقَارٌ . فَسَأَلَنِي عَنْ حَالِنَا ، فَأَخْبَرْتُهُ : أَنَّنَا بِخَيْرٍ وَفِي سَعَةٍ ؛ فَدَعَا لَنَا ، وَأَوْصَانِي أَنْ أُقْرِئَكَ السَّلَامَ ، وَأُعْلِمَكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ :

ذَاكَ أَبِي ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ زَوْجَةً لِي .

وَسُرَّ إِسْمَاعِيلُ ، وَرَضِيَ عَنْ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ لَمَّا عَلِمَ بِرِضَى أَبِيهِ عَنْهَا .

٥

وَغَابَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَغِيبَ ، ثُمَّ أَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِساً بِالْقُرْبِ مِنْ بِئْرِ زَمْزَمَ يَبْرِي نِبَالاً اسْتِعْدَاداً لِلْخُرُوجِ إِلَى رِحْلَةٍ لِلصَّيْدِ .

فَلَمَّا أَبْصَرَ إِسْمَاعِيلُ أَبَاهُ ؛ قَامَ إِلَيْهِ مُسَلِّماً مُرَحِّباً فَرِحاً ، وَكَذَلِكَ تَلَقَّاهُ أَبُوهُ بِالْمُعَانَقَةِ وَالْفَرَحِ وَالشَّوْقِ .

فَلَمَّا اسْتَرَاحَ قَالَ لِابْنِهِ :

يَا إِسْمَاعِيلُ ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى الْفَوْرِ :

اِصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ يَا أَبِي .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ :

وَتُعِينُنِي ؟

قَالَ إِسْمَاعِيلُ :

وَأُعِينُكَ يَا أَبِي فِي كُلِّ مَا تَطْلُبُ ، وَيَطْلُبُ رَبُّكَ وَرَبِّي .

قَالَ :

فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا .

وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ :

إِذَنْ تَفْعَلَ .

وَشَرَعَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ فَوْرِهِمَا فِي بِنَاءِ بَيْتِ اللهِ بِأَمْرِ اللهِ ؛ فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي ، وَإِسْمَاعِيلُ يَتَخَيَّرُ الْأَحْجَارَ ، وَيُنَاوِلُهُ إِيَّاهَا ، وَهُمَا يُرَدِّدَانِ الْقَوْلَ :

رَبَّنَا ؛ تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

وَلَمَّا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ عَنْ طَوْقِ إِبْرَاهِيمَ ، جَاءَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بِحَجَرٍ وَقَفَ عَلَيْهِ .

وَهٰذَا الْحَجَرُ مَوْجُودٌ إِلَى الْآنَ بِجِوَارِ الْكَعْبَةِ ، وَيُعْرَفُ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَتَمَّ إِبْرَاهِيمُ بِنَاءَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَكَانُ حَجَرٍ ؛ فَقَالَ لِابْنِهِ :

يَا بُنَيَّ ؛ ائْتِنِي بِحَجَرٍ مُتَمَيِّزٍ ، أَجْعَلُهُ عَلَمًا لِلنَّاسِ .

فَجَاءَهُ إِسْمَاعِيلُ بِحَجَرٍ لَمْ يَرْضَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَالَ لَهُ :

إِنَّنِي أَبْغِي حَجَرًا آخَرَ .

فَلَمَّا عَادَ بِهِ ، وَجَدَ أَبَاهُ يَضَعُ فِي الْمَوْضِعِ الْخَالِي حَجَراً أَسْوَدَ ! فَدَهِشَ ، وَقَالَ لِأَبِيهِ :

يَا أَبَتِ ؛ مَنْ أَتَاكَ بِهٰذَا الْحَجَرِ ؟ !

أَجَابَ الْأَبُ :

يَا بُنَيَّ ؛ أَتَانِي بِهِ مَنْ لَمْ يَكِلْنِي إِلَيْكَ .

وَفَرَغَ الْخَلِيلُ وَابْنُهُ مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ ؛ أَشْرَفِ بَيْتٍ فَوْقَ الْأَرْضِ ، وَهُمَا لَا يَزَالَانِ يَرْجُوَانِ عَفْوَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ وَرِضَاهُ ، وَيَبْتَهِلَانِ :

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ .

وَعَلَّمَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ ، وَوَاجِبَاتِهِ ، وَفُرُوضَهُ لِيُعَلِّمَاهَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ ، وَأَمَرَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ :

وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .

وَأَذَّنَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللهِ ، وَعَلَّمَهُمْ

هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ مَنَاسِكَهُ وَوَاجِبَاتِهِ وَفُرُوضَهُ .

وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ :

رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَداً آمِناً ، وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ؛ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ .

وَلَمَّا أَنْجَزَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللّٰهِ مَا أَمَرَهُ اللّٰهُ بِهِ ، عَادَ إِلَى مُقَامِهِ الْأَوَّلِ ، عَاهِدًا بِعُهْدَتِهِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ .

عَادَ إِبْرَاهِيمُ تَارِكاً لِوَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ رِعَايَةَ بَيْتِ اللّٰهِ ، وَالدَّعْوَةَ لِحَرَمِ اللّٰهِ .

وَبَقِيَ إِسْمَاعِيلُ يَرْعَى الْعُهْدَةَ بِشَجَاعَةٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ ، ثُمَّ أَسْلَمَهَا لِذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ .

وَكَانَتْ ذُرِّيَّةُ إِسْمَاعِيلَ اثْنَيْ عَشَرَ وَلَداً ذَكَراً غَيْرَ الْإِنَاثِ مِنْ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ بِنْتِ مُضَاضٍ الَّتِي ارْتَضَاهَا إِبْرَاهِيمُ لِابْنِهِ زَوْجَةً ، لِإِيمَانِهَا وَأَدَبِهَا وَفَضْلِهَا .

وَقَدْ صَارُوا جَمِيعًا فِيمَا بَعْدُ رُؤَسَاءَ قَبَائِلَ .

وَمِنْ بَعْضِهِمْ انْتَشَرَتْ عَشَائِرُ الْعَرَبِ بَعْدَ ذٰلِكَ .

وَمِنْ نَسْلِ إِسْمَاعِيلَ جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

مجموعة قصص الأنبياء

مجموعة جديدة ، فى أسلوب سهل ممتع ، وإخراج أنيق جميل ، للصغار والكبار ، تصف حياة الأنبياء ، وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات حتى تظل العقيدة سليمة نقية تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتحلى بالفضائل الحسنة ، والتمسك بالأخلاق الكريمة .

برنامج المجموعة

١ – آدم	١١ – موسى والسحرة
٢ – نوح	١٢ – موسى وبنو إسرائيل
٣ – هود	١٣ – داوود
٤ – صالح	١٤ – سليمان وملك الجزائر
٥ – إبراهيم الخليل	١٥ – سليمان وبلقيس
٦ – إسماعيل الذبيح	١٦ – يونس
٧ – يوسف الصديق	١٧ – أيوب
٨ – يوسف العفيف	١٨ – ابنة عمران
٩ – يوسف على خزائن مصر	١٩ – عيسى المسيح
١٠ – موسى الرضيع	٢٠ – الحواريون

٥ قروش ج.ع.م.	٥٠ فلساً فى العراق والأردن	٧٠ فرنكاً فى المغرب
٤٠ ق. ل	٥٠ فلساً فى الكويت	٠,٦ ريالا سعودياً
٥٠ ق. س	٦٠ مليماً فى تونس	١ شلنا } فى البلاد
٥٠ مليماً فى ليبيا والسودان	٧٠ فرنكاً فى الجزائر	٠,١٤ دولاراً } الأخرى